من مؤرخى مصر الرواد لمرحلة العصور الوسطى
أ.د. على الغمراوى (١٩٢٦ – ١٩٩٣م)

د. محمد مؤنس عوض*

مصر

فى الصفحات التالية أتناول بالعرض سيرة حياة مؤرخنا الراحل أ.د. على الغمروای؛ أستاذ العصور الوسطى بكلية الآداب – جامعة عين شمس سابقاً، كذلك أتعرض لمؤلفاته سواءً الكتـــب أو الـــبحوث؛ لإلقـــاء الضوء على أثار ذلك المؤرخ البارز الذى رحل جسداً ولا تزال روحه العلمية متوهجة في عقول تلاميذه.

ولد أ.د. على محمد محمود الغمراوى فى ٢٦ يناير عام ١٩٢٦م بالمنيا بصعيد مصر وفـيما بعـــد انتقلت عائلته إلى القاهرة، وتلقى تعليمه فى مدارس بنبا قادن الابتدائية ثم مدرسة الأمـــير فاروق الابتدائية، وكذلك مدرسة الأمير فاروق الثانوية، ثم التحق بجامعة القاهرة (التى كانت تعرف باسم جامعة فؤاد الأول) فى قسم الدراسات اليونانية واللاتينية، وحصل على درجة الليســـانس مـــن القسم المذكور عام ١٩٤٦م، ثم اتجه إلى دراسة القانون فالتحق بكلية الحقوق بالجامعة المذكورة في المدة من ١٩٤٦م إلى ١٩٥٠م، وعمل بالمحاماة على مدى ثلاث سنوات من ١٩٥٠ إلى ١٩٥٣م، وفى العام الأخير ثم تعيينه معيداً في كلية الآداب – جامعة عين شمس بقســـم الدراســـات اليونانية واللاتينية. ومن بعد ذلك غادر أرض الكنانة في بعثة عام ١٩٥٤م خـــلال شـــهور الصيف للإطلاع على مكتبات باريس، ولندن، وذلك بتوجيه من أستاذه الراحل أ.د. سليم سالم أستاذ اللغة اللاتينية بكلية الآداب – جامعة عين شمس، وبعد أربعة أعوام أى فى عـــام ١٩٥٨م تم إيفاده إلى إيطاليا لدراسة المخطوطات اللاتينية فى مكتبات روما، وفلورنسا، وميلانو، وفينيسيا.

علـــى أيـــة حال، تكللت جهوده بالنجاح عندما حصل في العام المذكور وأعنى به عام ١٩٥٨م علـــى درجـــة الماجستير فى مجال النقد اللاتينى من كلية الآداب – جامعة عين شمس وكـــان موضـــوع الرســـالة هو: خطبة شيشيرون فى الدفاع عن الممثل الكوميدى روسكيوس وعنوانها:

Cicero's Oration pro Q. Roscio Comoedo, Editing the text with commentary.

وقـــد قام بنشر النص والتعليق عليه. وهى لا تزال توجد فى مكتبة كلية الآداب – جامعة عين شـــمس، وكان الحدث المحورى فى حياة ذلك المدرس المساعد بالقسم المذكور حينذاك؛ إيفاده عـــام ١٩٥٩م فـــى إجـــازة دراســـية من جانب جامعة عين شمس للدراسة فى ألمانيا الغربية (حيـــنذاك) للحصـــول على الدكتوراه من جامعة ميونخ Münichen وقد أكد لى شخصياً، أنه علـــى الرغم من حصوله على الماجستير من مصر إلا أنه أدرك بعد فترة وجيزة كأنه لا يعلم

---

* استاذ التاريخ الإسلامي المساعد - كلية الآداب - جامعة عين شمس.

شـــيئاً عن الدراسات اليونانية، واللاتينية بالمقارنة بعلم الباحثين الألمان المتخصصين فى دراسة اللغة اللاتينية وخاصة فقة تلك اللغة philology.

ويلاحـــظ أنه خلال دراسته للدكتوراه، وفى عام ١٩٦٥م عمل باحثاً في مهمة علمية خاصـــة فـــى لجنة معجم تراث العصور الوسطى بأكاديمية العلوم البافارية فى ميونيخ من أجل إصـــلاح الأغلاط المطبعية فى مجموعة معالم ألمانيا التاريخية قبل إدراج مفرداتها فى المعجم، وهى مجموعة للمصادر اللاتينية لتاريخ أوربا فى العصور الوسطى.

وفـــى عـــام ١٩٦٧م حصل على الدكتوراة في الفلسفة من جامعة ميونيخ بعد حوالى ثمـــانى ســـنوات من البحث المضنى هناك. وكان تخصصه الرئيسى الدراسات الهندوجرمانية (الهند أوربية). أما التخصص الفرعى الأول دراسات العصور الوسطى (فى الغرب الأوربى). أما التخصص الفرعى الثانى الدراسات الحيثية.

ويلاحظ أن موضوع رسالته للدكتوراه التى تقدم بها لجامعة ميونيخ هو:

دراســـات معجمـــية لأسماء النباتات اللاتينية عند ديسقوريدس وابوليوس المنحول، وهى باللغة الألمانية – وقد نشرت فى ميونيخ عام ١٩٦٧م، وعنوانها بالألمانية هو:

Lexikographische studien über die lateinischen pflanzennaen bei Dioskurides und pseudo – Apuleeius, Münichen 1967.

ويلاحـــظ أنـــه لـــم يقم بترجمتها إلى اللغة العربية، وظلت حتى أخريات أيامه باللغة الألمانية، وأن سعى إلى الإفادة منها في مجال دراسة الطب في أوربا العصور الوسطى.

مهمـــا يكن من أمر؛ عين مؤرخنا مدرساً فى قسم الدراسات اليونانية واللاتينية بكلية الآداب – جامعة عين شمس وذلك عام ١٩٦٧م، ثم نقل ليعمل مدرساً لتاريخ العصور الوسطى بقســـم الـــتاريخ بنفس الكلية على يدى أ.د. حسن حبشى، أ.د. عزت عبد الكريم، ثم أعير إلى جامعـــة الكويـــت خلال المرحلة الواقفة بين عامى ١٩٧١ ، ١٩٧٥، وخلال وجوده هناك تمت ترقيـــته أســـتاذاً مســـاعداً لتاريخ العصور الوسطى، وفى عام ١٩٧٨م رقى أستاذاً، وبعد ذلك بعامين ١٩٨٠م أعير للتدريس بكلية العلوم الاجتماعية جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالـــرياض بالمملكـــة العربية السعودية وأشرف على عدد من الباحثين السعوديين فى دراساتهم العلـــيا، وقد تنقل بين ثلاثة مدن فى المملكة أولها أبها حيث عمل فى كلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعـــية ثم انتقل إلى الرياض، ومن بعدها عمل فى معهد الدعوة بالمدينة المنورة الذى كان يتـــبع الجامعة المذكورة التى ظل يعمل بها حتى عام ١٩٩٢م تقريباً وقد وافته المنية – رحمه الله تعالى – في يوم ٥ يوليه ١٩٩٣م.

أما مؤلفات الأستاذ الدكتور على الغمراوى فيمكن إجمالها على النحو التالى:

أولاً: الكتب:

- موضوعات فى الثقافة الأوربية فى العصور الوسطى، ط. القاهرة ١٩٧٢م.

- ملحمة البطولة الجرمانية، ط. القاهرة ١٩٧٢م.
- مدخل إلى دراسة التاريخ الأوربى للوسيط، ط. القاهرة ١٩٧٥م.
- البحوث النقدية الحديثة فى تاريخ العصور الوسطى الجزء الأول، بحوث القرنين السادس عشر، والسابع عشر الميلاديين، ط. القاهرة ١٩٧٨م.
- الأصول المعجمية مع شواهد من كتاب للحشائش والسموم نقل اصطفان بن باسيل عن كتاب ديسقوريدس فسى هيولى الطب De Materia Medica (دراسة فى المنهج التطبيقى لتاريخ الطب العربى).
- المجموعات الحديثة لمصادر تاريخ الغرب الأولى في العصور الوسطى وأطوار البحث التاريخى من القرن السادس عشر إلى القرن العشرين، ط. القاهرة ١٩٩٣م.

ثانياً: البحوث والمقالات:

- المصادر الهيجيوغرافية قبل النهضة الكارولنجية مجلة كلية الآداب والتربية جامعة الكويت العدد (٢)، عام ١٩٧٢م.
- "مبحث فى دراسة البطريسطيقا" المجلة التاريخية المصرية عدد عام ١٩٧٣م.
- "نظرات هستوغرافية فى التاريخ الأوربى في العصور الوسطى فيما قبل القرن العاشر الميلادى"، مجلة كلية الآداب والتربية جامعة الكويت، العددان (٣)، (٤)، عام ١٩٧٣م.
- "المؤلفات الدينية فى أدب الفقهاء اللاتين من القرن السادس الميلادى حتى القرن الثامن الميلادى" مجلة كلية الآداب – جامعة الكويت، العدد (٦)، عام ١٩٧٤م.
- "محاضرة الأستاذية" ألقاها بمناسبة حصوله على الأستاذية عام ١٩٧٨م، ونشرت مع محاضرات أخرى لأساتذة آخرين فى كتاب تذكارى من جانب جامعة عين شمس.
- "أهمية كتاب الحشائش عن الأطباء والعلماء اليونانيين والمسلمين المفردة عند ابن سينا وابن البيطار"، مجلة كلية العلوم الاجتماعية جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، العدد (٦) عام ١٩٨٢م.
- "تقرير ببليوغرافى عن بحوث فرنسا ونشراتها فى القرن الثامن عشر الميلادى الخاصة بالتاريخ الأوربى الوسيط" مجلة كلية العلوم الاجتماعية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، العدد السابع عام ١٩٨٣م.
- "معالم ألمانيا التاريخية Monumenta Germaniae Historia (مجموعة مصادر التاريخ والتراث الألمانى فى العصور الوسطى) مجلة كلية العلوم الاجتماعية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، السنة (١)، عام ١٩٨٦م.
- "أثر الثقافة الإسلامية في الفكر الأوربى". محاضرة فى كلية الشريعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، بالرياض عام ١٤٠٣هـ.

- فهرســة دائــرة المعارف الإسلامية الطبعة الثانية نشر فى مجلة معهد الدعوة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالمدينة المنورة.

كتب وبحوث لم تنشر بعد:

- إنجيل برنابا وأناجيل الكنيسة (كتاب فى الرد على النصارى).
- تفســير كتاب ديسقوريدس لابن البيطار مخطوطة بكلية الحرم المكى الشريف، رقم ١٣٦ طــب، نشــر وتحقــيق (مــن اقع الأصل اليونانى لكتاب ديسقوريدس فى هيولى الطب، المعروف بكتاب الحشائش).

ثالثاً: الترجمة:

- نورمــان كانتور، التاريخ الوسيط، بالاشتراك مع أ.د. قاسم عبده قاسم، أستاذ تاريخ العصور الوسطى بكلية الآداب – جامعة الزقازيق. وهو العمل الوحيد الذى ساهم فيه بأمر الترجمة.

تلك هى المؤلفات التى ألفها الراحل أ.د. على الغمراوى على مدى رحلته العلمية بين إنجلترا، وفرنسا، وإيطاليا، وألمانيا، والمملكة العربية السعودية، والكويت، ومصر، طالباً للعلم، وباحثاً، ومؤلفاً.

وواقــع الأمــر؛ أن الراحل الفاضل يوصف وبحق بأنه موسوعى الثقافة ومظهر ذلك إجادتــه للغــات الآتــية: العربــية، والإنجليزية، والفرنسية، والإيطالية، والألمانية، واليونانية، واللاتينــية، ثــم الاطــلاع على التراث الكلاسيكي اليوناني واللاتيني، بصورة جعلته يوصف بالوصف السالف الذكر.

ونظــراً لدراســاته الكلاســيكية؛ فقد تحمس تحمساً شديداً لذلك التراث، ولذلك نصح تلامــيذه بدراســة اللغتين اليونانية واللاتينية، كمقدمة ومدخل إلى اللغات الأوربية الحديثة التى أتقنها بل أمتد به الأمر إلى تعلم اللغة السواحيلية التى قطع فيها هى الأخرى شوطاً.

وحيــث أن تخصصــه اللغوى في مجال فقة اللغة اللاتينية؛ فقد اتسم بالعمق، والبحث مــن أصول المفردات وكذلك الظواهر التاريخية، وهى سمة اتسم بها الراحل الفاضل ولاحظها كل من تعامل معه وناقشه في العديد من القضايا التاريخية وأحسب نفسى من هؤلاء على مدى أعوام طويلة منذ عام ١٩٧٨ إلى عام وفاته عام ١٩٩٣م.

ومــن ســمات فكــر أ.د. على الغمراوى، ما يوصف "بالتشعيب" بمعنى أن يأتى إليه المــرء كــى يسأله عن موضوع يتصور أنه محدد أو صغير، ومع المناقشة يتم توسيع نطاق النقاش إلى زوايا أبعد وأعمق بصورة كانت تدعو المرء إلى الدهشة.

وكــان المنطق دوماً وراء كل استنتاجاته، ونلاحظ دائماً أنه كان يعلى من شأن العقل بصــورة كبيرة، كذلك لجأ إلى أسلوب الحوار، والنقاش مع تلاميذه فى مرحلة دبلوم الدراسات العلــيا للوصــول ذاتياً إلى الأفكار التى أراد لنا التوصل إليها، ولذلك فالدارسة معه تحولت إلى

نوع ما من "المتعة العلمية"، وأتذكر كيف أنه طرح على طلابه عام ١٩٧٩م في مرحلة دبلوم الدراسات العليا فرع التاريخ الإسلامى والوسيط موضوع نظرية هنرى بيرين Henri Pirenne الـتى عرضها فى كتابه محمد وشارلمان Mohamed and Charlemagne والتى أظهر فيها أن المسلمين يتحملون مسئولية تحطيم الوحدة القديمة للبحر المتوسط. وطلب من تلاميذه البحث فى مؤلفـات ذلك المؤرخ الاقتصادي البلجيكى ونقده، وبذلك قدم لنا فرصة ذهبية لتعلم أصول النقد الـتاريخى مع التحلى بروح الموضوعية الواجبة. وطلب من تلاميذه الاسترشاد بكتابه المدخل إلـى دراسة التاريخ الأوربى الوسيط، الذى صدر فى القاهرة عام ١٩٧٥م وهو أهم كتبه على الاطـلاق، ومـن خـلال الدراسة معه أدركنا كيف أثرت دراسته للقانون على فكره، فقد كان منطقـياً وقـوى الحجـة، ويتناول الفكرة التى يريد تفنيدها فيحللها ويفككها ويظهر ما فيها من القصور ولا يتركها إلا بعد أن يكون قد درسها بعمق بصورة كما – أسلفت – تدعو إلى الدهشة والتأمل.

وأود أن ألفـت نظـر القـارىء إلى أن الدراسة اللغوية والقانونية والتاريخية للراحل الفاضـل جعلـته بالفعل يملك العديد من الزوايا التى أثرت عقول تلاميذه من طلاب الدراسات العلـيا خاصـة خلال دبلوم تاريخ العصور الوسطي واليوم أدرك جيداً كيف كانت محاضراته حيـنذاك تجارب علمية في البنيونة أو التفكيكية قبل أن ندرسها نظرياً من خلال مؤلفات ميشيل فوكو.

من ناحية أخرى؛ تحمس الراحل الفاضل لدراسة الغرب الأوربى دراسة غربية تماماً بعـيداً عـن اتصـاله بالشرق، وكثيراً ما ردد أن العلاقات مع الشرق تخرج عن نطاق تاريخ العصـور الوسطى، غير أنه فيما بعد طور فكرته، وأشاد بتاريخ تلك المرحلة بل واشرف فى المملكة العربية السعودية على عدة رسائل في مجال تلك الظاهرة التاريخية الكبرى فى القرون الوسـطى. بل تناول المصادر الأوربية لتاريخ الحروب الصليبية فى كتابه البالغ القيمة المعنون بـ: المجموعات الحديثة لمصادر تاريخ الغرب الأوربى في العصور الوسطى وأطوار البحث الـتاريخى من القرن السادس عشر حتى القرن العشرين، ط. القاهرة ١٩٩٣م، وبعد تناوله فى هذا الشأن من أهم الدراسات البيبلوغرافية المصدرية بالعربية عن مرحلة الحروب الصليبية.

وإذا كـان ابـتعاث أ.د. علـى الغمراوى إلى ألمانيا قد أدى إلى حصوله على درجة الدكـتوراه فـى فقـه اللغة اللاتينية التى كان دائماً يفتخر بأنه العربى الوحيد الذي حصل على الدكـتوراه مـن هـناك فى ذلك التخصص النادر؛ فإن سفره إلى هناك ترك أثراً لا يمحى فى شخصـيته إذ أدرك المرء بعد التعامل معه لعدة أعوام أنه امتلك صفتين رئيسيتين أولهما الدقة الشـديدة ثم الصرامة العلمية، وهو أمر أدركه طلاب الدراسات العليا خلال السنة التمهيدية عام ١٩٧٩ – ١٩٨٠م خاصة فى قاعة البحث فى العصور الوسطى وكذلك فى مادة اللغة اللاتينية،

ولم يكن يتسامح البتة فى أى خطأ علمى فى نطق كلمة من الكلمات، أوعنوان كتاب من الكتب بأى لغة أوربية.

ولقـد ظلت اللغة الألمانية لديه اللغة المفضلة بعد العربية واللاتينية واليونانية، وحافظ بعـد عودته من ألمانيا على درجة إتقانه لها، ولذلك، فعندما زار قسم التاريخ عام ١٩٨٠م وفد مـن جامعـة هامبورج الألمانية، ألقى سيادته كلمة ترحيبية به لقيت استحساناً من أعضاء ذلك الوفد.

أمـا المملكة العربية السعودية؛ فكان لها تأثير كبير على أ.د. على الغمراوى خاصة خلال سنوات عمره الأخيرة، حيث تعمق لديه الشعور الدينى خاصة من خلال مجاورته للحبيب المصـطفى محمـد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام، حيث عمل هناك فى معهد الدعوة التابع لجامعـة الأمـام محمـد بن سعود الإسلامية، وهناك اهتم بقضايا الاستشراق، والمستشرقين، وموقفهـم من الإسلام فى مختلف القضايا، كذلك اهتم بإنجازات الحضارة الإسلامية خاصة فى موضـوعات الطب وتأثيره على أوربا العصور الوسطى، كذلك ألف واحداً من أهم مؤلفاته في مجـال مقارنة الأديان وهو "إنجيل برنابا وأناجيل الكنيسة"، وقد طالعته مع أحد الورثة وللأسف الشديد لم يظهر للنور بعد!!!.

يضـاف إلـى ذلك؛ أنه فى تلك المرحلة أشرف أ.د. على الغمراوى على عدة رسائل عن الحروب الصليبية وبلاد الشام خلالها وظاهرة الجهاد الإسلامي أثناء تلك الأحداث العاصفة التـي شـهدتها تلـك المنطقة، ولا ريب في أن "المرحلة السعودية" أثرت فكر أستاذى بصورة كبيرة.

ومـن زاويـة أخرى؛ اهتم مؤرخنا الفاضل بالنباتات والأعشاب الطبية، وكتب الطب العـربى فـى هـذا الشأن وما ساهم به المسلمون من ترجمة لمؤلفات يونانية تتعلق بالأعشاب خاصـة كـتاب ديسـقوريدس عن الحشائش والذى أفاد منه كافة الأطباء المسلمين الكبار فى العصـور الوسـطى خاصـة من خلال ترجمة أصطفان بن باسيل. وكثيراً ما أشار أ.د. على الغمـراوى إلـى الدقـة الكبيرة التى اتسم بها المترجمون العرب مثل حنين بن إسحاق، وابنه اسـحق، واصطفان بن باسيل وغيرهم في الترجمة من اليونانية إلى السريانية ومن الأخيرة إلى لغـة الضاد، ويلاحظ أن اتجاهه نحو التراث الطب العربى توافر لديه أصلاً خلال دراساته فى ألمانيا.

علـى أيـة حال؛ بعد عودته إلى مصر حرص على إيجاد مجموعة من الباحثين تهتم بدراسـة الطب العربى والترجمات العربية للمؤلفات الطبية اليونانية. ووجد باحثة مهتمة بذلك المجـال فى صورة عليه حنفى (أ.د. عليه حنفى رئيس قسم الدراسات اليونانية واللاتينية بآداب عين شمس فيما بعد) فحصلت تحت أشرافه على درجة الماجستير فى الحقل العلمي المذكور.

وبصفة عامة؛ كان أ.د. على الغمراوى متشدداً في ضرورة معرفة الباحث المتصدي للكـتابة التاريخـية لعـدد من اللغات الأوربية، ورأى أن من يعرف لغة واحدة كمن لديه نافذة واحـدة فى بيته، وكلما عرفت لغات أكثر كلما زادت معارفك بالعالم المحيط بك قديماً وحديثاً، ودائمـاً أظهر سخطه من الباحث الذى يأتى إليه طالباً منه ترجمة أحد النصوص التاريخية بلغة أوربـية إلى اللغة العربية. بل وجدته يرفض ذلك عدة مرات، حفاظاً على وقته، وإظهاراً لعدم تقديره لمن يطلب منه ذلك.

مـن زاويـة أخـرى؛ مازلت أتذكر لذلك العالم الفاضل مقولته لى بأنه من المستحيل التوصـل إلى الحقيقة التاريخية التي لا يعرفها إلا الله تعالى وحده، وكافة جهود المؤرخين هي عـبارة عـن محـاولات للاقتراب منها دون إمكانية معرفتها بصورة كاملة أو هى قريبة من الاكتمال، كذلك دائماً كان يردد أن أفضل مادة لكتابة التاريخ ما لم يكتب بقصد أن يكون تاريخاً بمعـنى أن يكون هناك نص عبارة عن رسالة مرسلة من أحد الأشخاص إلى صديق من مدينة أخرى وتم اكتشاف هذه الرسالة فتكون بذلك مصدراً تاريخياً عظيم القيمة على اعتبار أنها بعيدة عن الرسمية أو تعمد كتاباتها لتكون مصدراً من مصادر الكتابة التاريخية.

زد علـى ذلـك؛ أفدت من أ.د. على الغمراوى من خلال منهجه القائم على النقاش، والمحـاور للتوصـل إلـى ما هو أقرب إلى الحقيقة التاريخية، وذلك من خلال جهد جماعى، وطول ممارسة، وعدم الكلل أو الملل من المناقشة. وحرصه الشديد على جذب تلاميذه إليه من خـلال طرح عناصر جديدة فى المناقشة تجذبهم، وبانتهاء الجلسة معه، يدرك المرء أن شيئاً ما فـى تفكيره تغير للأفضل، وبعد انتهاء العام المخصص للسنة التمهيدية للماجستير أدركت كيف أثر ذلك المؤرخ الكبير فى عقول تلاميذه وفى كاتب هذه السطور شخصياً.

من ناحية أخرى؛ أمتلك مؤرخنا صفة "الكارزما Charisma" الآثرة على نحو يصعب الفكـاك من تأثيرها الكبير، وارتبط بتلاميذه وارتبطوا به وظل محافظاً عليهم من خلال صداقة قوية، لم تتغير يوماً أو تتبدل إلا إلى الأفضل.

وأود أن أوضـح للقـارئ، أن مؤرخـنا يوصف بالفعل بأنه عشق تخصصه العلمى، ولذلـك رفض أية مناصب إدارية فلم يتول رئاسة قسم أو منصب وكيل أو عميد كلية الآداب – جامعـة عين شمس، وتعليل ذلك، اعتقاده الكامل بأن الباحث العاشق لعلمه؛ عليه التفرغ تماماً لواجـبه العلمي، وأن يتعامل مع الورق والقلم تأليفاً أو ترجمة أو تحقيقاً وأن مثل تلك المناصب مـن شـأنها إبعاده عن رسالته العلمية التى من أجلها خلقه الله تعالى، وذلك تصوره الشخصى بطبيعة الحال الذى التزم به طوال حياته ولم يناقض نفسه حيال ذلك البتة.

ولا أغفـل؛ اتساع دائرة علاقاته الإنسانية مع الجميع فلم يكن يتعامل مع الآخرين من خـلال كونه أستاذاً جامعياً بل مجرد إنسان يشارك الآخرين أفراحهم وأحزانهم، وهكذا ففى كل مكـان عمل فيه ترك ذكرى طيبة حتى من الناس البسطاء الذين تعاملوا معه، وقد لاحظت ذلك

عـــندما عملت في مدينة أبها بجنوب غربى المملكة العربية السعودية فوجدت العديدين يذكرونه ذكراً جميلاً، وكذلك عندما سافر زملائى إلى المدينة المنورة لاحظوا نفس الملاحظة مما عكس تعلقه بالآخرين وتعلقهم به على المستوى الإنسانى وهو المستوى الباقى بعد رحيل الأشخاص

وأود تقديـــم مقـــتطفات مـــن إسهامات مؤرخنا من أجل الاقتراب قدر المستطاع من أســـلوبه فى الكتابة التاريخية، وقد ذكر فى كتابه ملحمة البطولة الجرمانية، "شغلت أوربا وعالم البحر المتوسط منذ القرن الخامس حتى مطلع القرن الثامن غزوات مغولية وجرمانية وإسلامية نجـــم عنها تغير في نظام الحكم والمجتمع، وكان للجرمان على خلاف المغول والمسلمين أكبر الشـــأن فـــى تقريـــر مصـــير القارة الأوربية، ولذلك آثار منشأهم حماسة كثير من المؤرخين وبخاصـــة فيألمانـــيا حيـــث ألهبـــت دراسة هجرات الشعوب Voelkerwanderungen شعور الألمـــان القومـــى، كمـــا أصبحت نظم الجرمان السياسية والقانونية والاجتماعية كذلك موضع اهتمام الدارسين بسبب المؤثرات التى أحدثتها فى الحضارة الأوربية الوسيطة.

كـــان المعتقد فى الثلاثينات الأولى من القرن العشرين أن الحياة الجرمانية شابهت فى مخـــتلف الـــنواحى حـــياة العـــالم الرومانى وأن استمرار النظم الرومانية فى القرنين الخامس والســـادس كـــان نتيجة لضآلة تأثير الغزوات الجرمانية على المجتمع الأوربى، وقد أيد وجهة الـــنظر هـــذه العالم النمساوى الفونس دوبس Alphons Dapsch فى كتابه الأسس الاقتصادية والاجتماعـــية للحضـــارة الغربية، ووصل إلى التقارب في المستويات الثقافية والاقتصادية بين الـــرومان والشعوب الجرمانية، وكذلك مؤرخ الاقتصاد البلجيكى هنرى بيرين Henri Pirenne الـــذى أكـــد أن الغـــزوات الجرمانية لم تشكل في الحقيقة انهياراً جانحاً في التطور الاقتصادي والاجـــتماعى لأوربـــا، ومـــنذ الحـــرب العالمية الثانية وإلى حد كبير بفضل دراسات العلماء الفرنســـيين ضـــعف تفســـير دوبس وبيرين لحضارة الجرمان، ورأينا رجوعاً إلى وجهة النظر القديمـــة عـــن العواقـــب المشئومة للغزوات الجرمانية، فقدم سالان Salin دليلاً أثرياً معارضاً للفرضـــية الـــتى ذهـــب إليها دوبس، كما ناقش كورسيل Courcelle فى كتابه "التاريخ الأدبى للغـــزوات الجرمانية" بطريقة حاول أن يجعلها مقنعة وجود الاهتمام بوجهات نظر المعاصرين الكئيبةعن دلالات الغزوات[1]".

ومن الجلى البين؛ من خلال السطور السابقة كيف أن أسلوبه في الكتابة التاريخية عبر عـــن منهجية تهتم بالأبعاد السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية دون إغفال التراث الشعبى وكل ذلك ضمن إطار من التحليل والبحث فى أصول حركات التاريخ فى أوربا العصور الوسطى.

---

[1] على الغمراوى، ملحمة البطولة الجرمانية، ط. القاهرة ١٩٧٢م، ص٣.

مهمـــا يكـــن مـــن أمـــر، ينبغى ألا نغفل – عند دراستنا لسيرة ذلك المؤرخ الرائد – الجوانب المأساوية التى واجهته فى حياته والتى انتهت بوفاته[٢].

تلـــك صفحات قليلة عن مؤرخ رائد من مؤرخى مصر لمرحلة العصور الوسطى فى صورة أ.د. على الغمراوى رحمه الله تعالى رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته.

[2] فـــى الأعـــوام الثلاثة الأخيرة من حياة مؤرخنا نكب بعدة نكبات متلاحقة؛ إذ توفيت ابنته الوحيدة "فادية"، ومن بعدهـــا بعـــام توفيت زوجته حزناً على رحيلها، ثم أصيب هو شخصياً بمرض السرطان، وكان منكباً على كتابة كـــتابه "المجموعـــات الحديثة لمصادر تاريخ الغرب الأوربى فى العصور الوسطى" على الحاسوب، وقد طالعت مخطوطـــة الكتاب مع سيادته قبل رحيله وقد أوصى بضرورة طباعته لما فيه فائدة كبيرة للباحثين وبالفعل تمت طباعته بعد وفاته ومن الانصاف القول بأن أ.د. فتحى أبو سيف قام بدور فعال في ظهور الكتاب للدور بالاشتراك مع إدارة كلية الآداب – جامعة عين شمسفى عهد عميدها أ.د. محمد حسن وهبه.